# القرآن والعلم الحديث

للدكتور الفرنسي

**موريس بوكاي**

(المحاضرة التي ألقيت بمعهد الكومنولث البريطاني بلندن)

ترجمها إلى العربية

د/ نبيل عبد السلام هارون

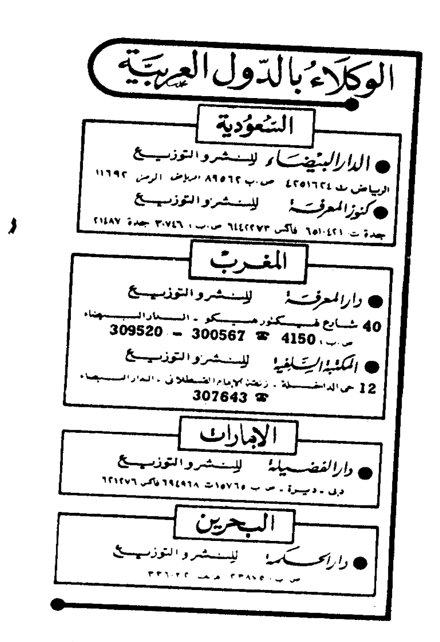
**دار الطلائع**

للنشر والتوزيع والتصدير

٥٩ شارع عبد الحكيم الرفاعي ناصية امتداد مكرم عبيد

وسمير فرحات - مدينة نصر القاهرة - فاكس ٢٤٨٠٤٨٣

تليفون ٢٤٧٩٨٦٣ / ٢٦٠٤٦٤٢


الوكلاء بالدول العربية
السعودية
● الدار البيضاء للنشر والتوزيع
الرياض ت ٤٢٥١٦٢٤ ص.ب ٨٩٥٦٢ الرياض الرمز ١١٦٩٢
● كنوز المعرفة للنشر والتوزيع
جدة ت ٦٥١٠٤٢١ فاكس ٦٤٤٢٢٧٣ ص.ب ٣٠٧٤٦ جدة ٢١٤٨٧
المغرب
● دار المعرفة للنشر والتوزيع
40 شارع فيكتور هيكو - الدار البيضاء
ص.ب 4150 ☎ 300567 - 309520
● المكتبة السلفية للنشر والتوزيع
12 حي الداخلة - زنقة الإمام القسطلاني - الدار البيضاء
☎ 307643
الإمارات
● دار الفضيلة للنشر والتوزيع
دبي - ديرة - ص ب ١٥٧٦٥ ت ٦٩٤٩٦٨ فاكس ٦٢١٢٧٦
البحرين
● دار الحكمة للنشر والتوزيع
ص ب ٣٣٨٠٥ هاتف ٣٣٦٠٢٢

بسم الله الرحمن الرحيم


جميع الحقوق محفوظة للناشر

بسم الله الرحمٰن الرحيم

# مقدمة

لما كان عطاء القرآن متجدداً على مر العصور والدهور فإن علينا – نحن المسلمين – أن نتابع ما يقوله الباحثون والعلماء بشأن تلك العبارات التى وردت فى القرآن ، وتشير بوضوح إلى حقائق علمية كانت بعيدة تماماً عن إدراك أسلافنا – رضى الله عنهم – حيث لم يتجاوز حظهم منها إدراك المعنى اللغوى الظاهرى ، وإن أصبحت الآن من المعارف الأساسية .

والدكتور « **موريس بوكاى** » أحد أولئك العلماء الباحثين فهو جراح فرنسىّ مرموق ، وعالم محقق عرفه الناس بكتابه : « **القرآن الكريم والتوراة والإنجيل والعلم** » .

ذلك الكتاب الذى صدر باللغة الفرنسية والإنجليزية والعربية . والذى تناول فيه ما توصل إليه فى بحوثه من مقارنة بين الأديان السماوية الثلاثة ، وهو يُعَدْ دراسة فريدة من نوعها فى تقييم الأديان السماوية من منظور العلم !

وقد بدأت رحلته العقلية من المسيحية إلى الإسلام عندما عُهد إليه كجراح مبرز بمعالجة « **مومياء الفرعون منفتاح** » !

وفى زيارة طبية له إلى السعودية بعد ذلك أتيح له فى إحدى المناقشات أن يلم بما جاء فى القرآن الكريم حول غرق فرعون موسى ، ثم بقاء بدنه سليماً ؛ ليكون آية لكل الأجيال من بعده !

ولما كان « **بوكاى** » على دراية سابقة برواية الكتاب المقدس عن غرق فرعون ؛ فقد دهش كثيراً عندما اكتشف أن القرآن وحده – قد قرر الحقيقة

التى لم تعرفها البشرية إلا فى هذا القرن ، مع بداية الكشوف الأثرية ، والعثور على « **المومياوات** » المحنطة لفراعنة مصر ، ومنها « **مومياء الملك منفتاح** » المعروف بـ « **فرعون موسى** » أو « **فرعون الخروج** » .

## *نقطة التحول فى حياة بوكاى :*

وكانت تلك نقطة التحول فى دراسات الدكتور : « **بوكاى** » ؛ **فقرر دراسة القرآن الكريم واللغة العربية ، ثم عكف على إجراء دراسة مقارنة بين نصوص القرآن الكريم ، والكتاب المقدس : « التوراة والأناجيل » فى ضوء المعارف الحديثة .**

## *نتيجة البحث والمقارنة :*

وخرج من هذه الدراسة بما أعلنه على الدنيا

من التوصل إلى التطابق التام بين الإشارات العلمية والتاريخية بالقرآن الكريم ، وبين العلوم والمعارف الحديثة ، بينما يتناقض الكثير مِمّا جاء بالتوراة والإنجيل مع الحقائق والمنطق !

### *هذا الكتّيب ! :*

وهذا الكتيب هو نص محاضرة ألقاها الدكتور **« موريس بوكاى » ، أمام معهد الكومنولت البريطانى فى لندن حول « القرآن الكريم والعلم الحديث » ، لعلها تكون هادياً ومرشداً للباحثين عن الحق الذى جاء به الإسلام ، ونطقت به آيات كتابه العزيز !**

### *منهجه فى البحث :*

نظراً لأن الإشارات العلمية المعجزة تنتشر فى شتى سور القرآن بين دفتيه شاهداً حيًّا على صدقه !

ونظراً إلى أن القرآن قد نزل مفرقاً عبر ثلاثة وعشرين عاماً قبل الهجرة وبعدها ؛ فقد توزعت الإشارات العلمية بين السور المكية والمدنية .

ونظرًا إلى أنه ينبغى فى دراسة مثل هذا ، جمع وتصنيف الآيات المتعلقة بكل موضوع على حدة !

نظراً إلى هذا كله يقول الباحث : فقد لجأت إلى تصنيف مبسط لهذه الموضوعات ..

بدأت فيه بموضوع : نشأة الكون وبيان ما جاء بآيات القرآن فى هذا الصدد ، وعلاقته بالمفاهيم العلمية المعاصرة .

ثم صنفت مجموعات الآيات تباعاً فى موضوعات :

١ - الفلك ..
٢ - الأرض ..
٣ - المملكة الحيوانية والنباتية ..

٤ – الإنسان ..

٥ – ثم موضوع التكاثر الإنسانى الذى أضفى عليه القرآن الكريم عناية خاصة .

وكان من الممكن تقسيم هذه الموضوعات إلى موضوعات فرعية أدق ، ولكنى اكتفيت بتقسيمى هذا المبسط .

ثم رأيت لتمام الفائدة أن أعقد بين آن آخر مقارنة بين النصوص القرآنية ، وبين ما جاء فى التوراة والأناجيل من منظور العلم الحديث ، وبخاصة فى موضوعات :

**« ا » نشأة الكون .**

**« ب » الطوفان .**

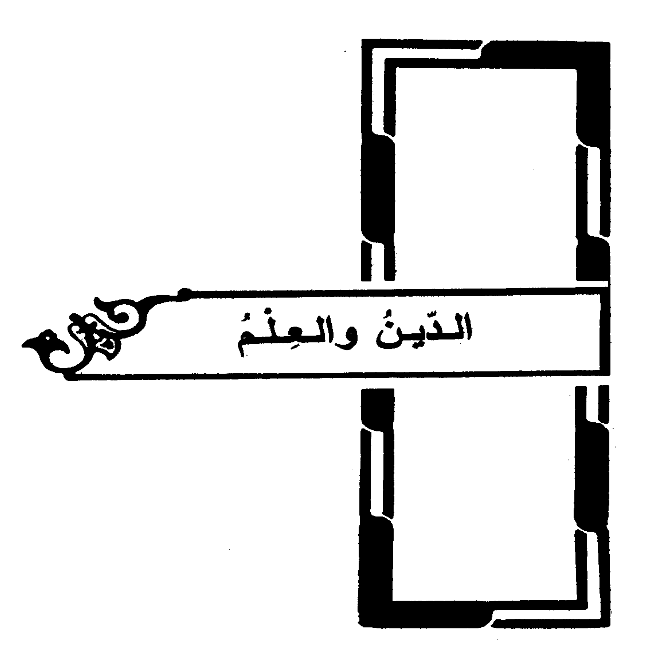
**« جـ » خروج بنى إسرائيل .**

**وبعد .. فمن حقك أيها القارىء علينا أن تواكب كل جديد نافع !**

**ومن واجبنا أن نهيىء لك ذلك ، والله من وراء القصد ،،**

**د : نبيل عبد السلام هارون**





# الدّينُ والعِلْمُ

فى التاسع من نوفمبر سنة ١٩٧٦ م أُتيح لى أن أقدم للأكاديمية الفرنسية محاضرةً فريدة فى موضوعها حول : « **علوم الأجنّة ووظائف الأعضاء فى القرآن الكريم** » .

**تناولت فيها** : بعض ما جاء بالقرآن الكريم من « **إشارات** » تتصل بالتكاثر والفسيولوجيا البشرية .

## *الدافع إلى إعداد هذه المحاضرة :*

وقد دفعنى إلى إعداد هذه المحاضرة :

انبهارى بما جاء فى القرآن الكريم من إشارات إلى معارف ومفاهيم لم يكتشفها العلم إلا فى العصر الحديث .

والقرآن هو الكتاب الوحيد من نوعه بين أيدينا

الذى جاء بمعارف تسبق عصر تدوينه بقرون .

وقد دفعنى ذلك أيضاً إلى مقارنة النص القرآنى بنصوص الكتاب المقدس : ( **العهد القديم والجديد** ) المتعلقة بمثل هذه المعارف وتمخضت هذه الدراسة عن إصدار كتابى : « **القرآن الكريم والتوراة والإنجيل والعلم** » الذى صدرت طبعته الأولى باللغة الفرنسية فى مايو سنة ١٩٧٦ عن دار سيجلير بباريس ، ثم توالى ظهور طبعات إنجليزية وعربية مترجمة .

### *العلم والدين توأمان فى الإسلام :*

إن الدارس للإسلام يعرف أن العلم والدين فيه توأمان ، حتى فى هذا العصر الذى قطع العلم فيه أشواطاً تبدو مذهلة !

لم يصطدم الإسلام أبدًا مع العلم ؛ بل على العكس ألقت المعارف الحديثة أضواء جلت لنا معانى

القرآن ، وما فيه من روعة !

وفى هذا القرن الذى بدا فيه للغرب ، والعالم غير المسلم أن الحقائق والأفكار العلمية قد أجهزت على بقايا الفكر الدينى — كان الأمر فى العالم الإسلامى مختلفاً تماماً ، فقد ساعدت هذه الكشوف والحقائق العلمية ذاتها على إثبات ما فى رسالة الإسلام ، والنص القرآنىّ من إعجازٍ علمىّ يؤكد صدوره من قوى خارقة للطبيعة ؛ أى : من وحى الخالق الأعظم !

وعلى رغم كل التيارات والدعاوَى الفكرية التى تخبطت فيها عقول البشر ؛ فإن المعارف العلمية لابد أن تدفع العقل المحايد المتحرر من الأهواء إلى التأمل فى قضية الإيمان ؛ فكثير من البحوث فى ظواهر الطبيعة والحياة تؤدى بشكل تلقائى إلى تدبر المفاهيم الدينية !

***مثل على ذلك :***

ونضرب مثلاً لذلك بدراسات النظم الدقيقة التى تحكم بداية الحياة ونشأتها وتطورها : فكلما تعمقت الدراسة ، واتسعت المعارف أصبح من العسير علميًّا أن نتقبل فكرة « **الصُّدفة** » كتعليل لتلك النظم !

ومما يبعث على الأسى والإشفاق – معاً – أن ينادى عالم فرنسى حاصل على جائزة نوبل بأن الخلايا الحية قد كونت نفسها ! فجأة باتحاد عناصرها الكيميائية فى ظروف مَا مواتية ، ثم تطورت هذه المادة الحية ، بنفسها أيضاً – حتى وصلت إلى الإنسان بكل ما فيه من أنظمة معقدة ، وتلك آراء لا يُقرها أى تفكير سليم ؛ لأن الدراسة العلمية الجادّة لبيولوجيا الإنسان ، وغيره من الكائنات العليا ، إنما تؤدى إلى النقيض من هذا الادعاء تماماً ؛ وتؤكد وجود إرادة

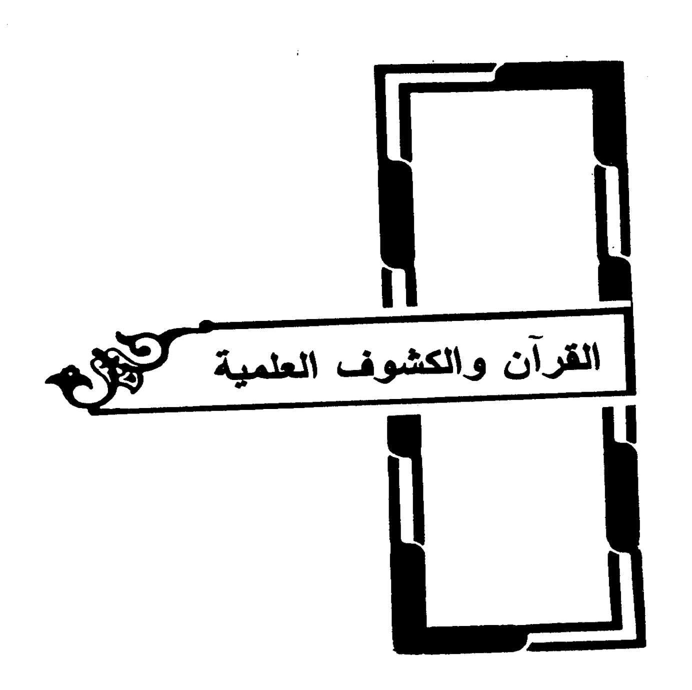
أسمى خارقة للطبيعة وراء خلق ونشأة وترتيب نظم الحياة وخصائصها وسلوكها .

وسنرى فى هذه المحاضرة كيف تثبت لنا دراسة القرآن هذه المفاهيم ، وبوضوح شديد !

كما سأركز – بصفة خاصة – على ما جاء بالقرآن من حقائق علمية تتفق بمنتهى الدقة مع العلوم الحديثة !

وهو موضوع يشكل نقطة جذب كبير للدراسات العلمية المعاصرة !




القرآن والكشوف العلمية

ظل المغزى العلميّ لكثير من آيات القرآن الكريم غامضاً لقرون عدة قبل تطور أدوات البحث والتحليل العلمى إلى ما صارت إليه فى هذا القرن العشرين ؛ وما صحبه من تفرع المعارف إلى تخصصات دقيقة !

### *واجب من يتصدى للتفسير العلمى للقرآن :*

لقد أصبح واجباً على من يتصدى للتفسير العلمى للقرآن أن يرجع إلى البحوث والدراسات المتخصصة .

وأن يستند -- على الأقل - إلى دائرة معارف متسعة ، وأعنى بالمعارف العلمية هنا : ما أصبح فى حكم الحقائق المؤكدة التى لا خلاف عليها ؛ فلا يدخل فيها مالم يتحقق بعد من نظريات قد يضعها

العلماء للتفسير المؤقت لظواهر محدودة ، قبل أن تنقضها ظواهر أو مفاهيم جديدة .

***الاقتصار على المعارف العلمية المؤكدة :***

وسأقتصر فى « **محاضرتى** » هذه على الإشارة إلى ما جاء بالقرآن الكريم من معارف علمية مؤكدة تماماً .

وحيثما أشير إلى حقائق شبه مؤكدة ، أو آراء يُرجّح إجماع العلماء صحتَها ، وإن لم تتحقق نهائياً بالبحث التجريبى القاطع ، سأبين ذلك بكل وضوح ؛ ولن يتجاوز ذلك إشارة أو إشارتين مثل « **نشأة الحياة فى وسط مائى واحتمالات وجود الحياة فى كواكب أخرى فى الكون** » .

***حقيقة لابد من أن نؤكدها :***

ينبغى أن نؤكد أولاً أن القرآن الكريم — قبل كل

شيء – كتاب هداية ، لم ينزله الله مصدراً للمعارف العلمية ، وإنما هو رسالة تستنهض العقل للتأمل فى خلق الله ، ونواميس الطبيعة ، ليتعرف من خلالها على جلال القدرة الإلهية .

وفى خلال تدبر ذلك الكتاب يجد أولو العلم والبصيرة فيه من « **الإشارات العلمية** » المشرقة نفحاتٍ من الله تعالى ، تشدّ أزرهم فى مواجهة دعاوى الإلحاد المادى المتهافتة ، وإن تسربلت بعباءة العلم .

## *التزام الأسلوب الموضوعى المجرد :*

حاولت خلال دراستى هذه – وأظننى قد نجحت – التزام الأسلوب الموضوعى المجرد الذى يتبعه الطبيب عند فحص مريض جديد ؛ إذ يمحص كل أعراض المرض بعناية حتى يصل إلى التشخيص السليم .

**وأصارحكم القول** : أنى عندما بدأتُ الدراسة لم يكن لدى أدنى اقتناع بالإسلام ، وكلما مضيت فى الدراسة ازداد اقتناعى حتى أتانى اليقين فى النهاية : أن هذا القرآن إن هو إلا وحى أوحاه الله إلى نبيه .

***خطتى فى هذه الدراسة :***

سأستعرض فى دراستى عبارات وردت فى القرآن ، تشير بوضوح إلى حقائق علمية كانت بعيدة تماماً عن إدراك أسلافنا ؛ الذين لم يتاجاوز حظهم منها إدراك المعنى اللغوى الظاهرى – وإن أصبحت الآن من المعارف الأساسية ، ولو كان القرآن – جدلاً – نصًّا بشرياً لما نقل إلينا بهذه العبارات التى تتجاوز فهم الأسلاف ؛ ولعدّلوا وبدلوا ألفاظها تبعاً لمفاهيمهم .

***الله قد تكفل بحفظ القرآن :***

ولكن الله – تعالى – قد تكفل بحفظ النص

القرآنى قرناً بعد قرن ، حتى يتبين للبشر يوماً بعد يوم المزيد من آيات التطابق بين التعبير القرآنى ، والمعارف الحديثة .

**تنتشر هذه الإشارات العلمية المعجزة فى شتى** سور القرآن بين دفتيه شاهداً حيًّا على صدقه .

ولما كان القرآن قد نزل مفرقاً عبر ثلاثة وعشرين عاماً قبل وبعد الهجرة من مكة إلى المدينة ، فقد توزعت الإشارات العلمية أيضاً بين السور المكية والمدنية .

**ولما كان من الضرورى فى دراسة مثل هذه جمع** وتصنيف الآيات المتعلقة بكل موضوع على حِدَة ؛ فقد لجأت إلى تصنيف مبسط لهذه الموضوعات بدأت **فيه بموضوع نشأة الكون ، وبيان ما جاء بآيات القرآن الكريم فى هذا الصدد ، وعلاقته بالمفاهيم العلمية المعاصرة .**

ثم صنفت مجموعات الآيات تباعاً في موضوعات : الفلك ، الأرض ، المملكة الحيوانية والنباتية ، الإنسان ، ثم موضوع التكاثر الإنساني الذى أضفى عليه القرآن الكريم عناية خاصة .

وكان من الممكن تقسيم هذه الموضوعات إلى موضوعات فرعية أدق ، ولكنى اكتفيت بتقسيمى هذا المبسط .

### *عقد مقارنة بين النصوص :*

ثم رأيت لتمام الفائدة أن أعقد من آن لآخر مقارنة بين النصوص القرآنية ، وبين ما جاء فى التوراة والأناجيل من منظور العلم الحديث ، وبخاصة موضوعات نشأة الكون والطوفان وخروج بنى إسرائيل .

### *فى نشأة الكون :*

عندما نحلل مفهوم نشأة الكون فى القرآن الكريم يتبين لنا لأول وهلة مدى التباين بين ذلك المفهوم ، وبين ما جاء بالكتب السماوية الأخرى .

### إدعاءات مضللة :

وهذه النتيجة فى - حد ذاتها - تنفى تماماً الادعاءات المضللة لمؤلفين غربيين عن التشابه بين القرآن الكريم ، والكتب السابقة ، واتهامهم لمحمد - ﷺ - باقتباس القرآن الكريم من التوراة والإنجيل .

### كذب تلك الإدعاءات :

**وللتحقق من كذب هذا الإدعاء تكفى مقارنة** ما جاء بالتوراة من أن الله قد خلق الكون فى الستة أيام ثم استراح ! فى اليوم « **السابع** »[1]- بالنص

---

(١) فى سفر التكوين : « وفرغ الله فى اليوم السابع من عمله الذى عمل ، فاستراح فى اليوم السابع من جميع عمله الذى عمل » (٢ / ٣) المترجم .

القرآنى الحكيم : ﴿ **إن ربكم الذى خلق السموات والأرض فى ستة أيام ثم استوى على العرش يُغشى الليل النهار يطلبه حثيثًا والشمس والقمر والنجوم مسخرات بأمره ألا له الخلق والأمر تبارك الله رب العالمين** ﴾ [ سورة الأعراف : الآية ٥٤ ]

***إيضاح :***

وينبغى أن نوضح هنا ما أكده المفسرون المعاصرون من أن المقصود بـ« **الأيام** » **هنا ليس** : **واحدها اليوم** الأرضى المعروف ( **٢٤ ساعة** ) ؛ بل هو المراحل والدهور[1].

وأهم من ذلك - فى نظرى - عند مقارنة

---

(١) يؤكد ذلك ما جاء فى القرآن الكريم صراحة فى الآيتين :
( ا ) ﴿ **وإن يوماً عند ربك كألف سنة مما تعدون** ﴾ [ الحج : ٤٧ ]
( ب ) ﴿ **تعرج الملائكة والروح إليه فى يوم كان مقداره خمسين ألف سنة** ﴾ [ المعارج : ٤ ] المترجم .

القرآن بغيره من الكتب السماوية أنه **لم يُصِرّ** على ترتيب معين لخلق الأرض قبل السمٰوات(1)؛ كما جاء بالكتب الأخرى ؛ بل إن النصوص القرآنية فى مجموعها تدل على تزامن نشأة الأرض ، ونشأة السمٰوات ؛ فأحياناً يذكر لفظ « **السماء ، أو السمٰوات** » قبل لفظ « **الأرض** » وأحياناً بعدها فى الإشارات القرآنية لنشأة الكون(2)؛ مثل ما جاء فى « **سورة طه** » ﴿ **تنزيلاً ممّن خلق الأرض والسمٰوات العُلَىٰ** ﴾ [ طه : ٤ ]

وما جاء بسورة الزّمر : ﴿ **خلق السّمٰوات والأرض بالحق** ﴾ [ الزمر : ٥ ]

---

(١) انظر الفقرة الأخيرة فى هذا الموضوع .

(٢) ويقول النحويون : إن « الواو » العاطفة لا تفيد ترتيباً ولا تعقيباً كما فى قوله تعالى : ﴿ **وَاسجدى واركعى مع الراكعين** ﴾ [ آل عمران : ٤٣ ] والركوع قبل السجود .

***إشارة إلى مفهوم أساسى فى خلق الكون :***

من ناحية أخرى يشير القرآن إلى مفهوم أساسىّ فى « **نشأة الكون** » هو : نشأته من دُخَان ، وابتداؤه من جسم واحد متصل : ( **رَتْق** ) انفصل بعد ذلك إلى أجزاء ( **انفتاق** ) وهو ما تشير إليه الآية الكريمة من سورة فُصّلت : ﴿ **ثم استوى إلى السماء وهى دخان ...** ﴾[ فصلت : ١١ ] مع الآية التالية من سورة الأنبياء : ﴿ **أولم ير الذين كفروا أن السمٰوات والأرض كانتا رتقاً ففتقناهما** ﴾ . [ الأنبياء : ٣٠ ]

وقد أدى ذلك الانفصال إلى نشأة العديد من العوالم المختلفة ﴿ **العالمين** ﴾ كما يتكرر ذكرها بهذا اللفظ مراراً مثلما جاء بفاتحة الكتاب : ﴿ **الحمد لله رب العالمين** ﴾ [ الفاتحة : ٢ ]

***اتفاق مع المفهوم السائد :***

ويتفق ذلك كله مع المفهوم السائد : ألا وهو وجود كتلة دخانية أولية واحدة ، ثم انفصالها إلى المجرات ، ثم إلى النجوم ، ثم نشأة الكواكب بانفصالها عن النجوم .

كما يشير القرآن إلى خلق يتوسط السمٰوات والأرض كما جاء فى سورة الفرقان : ﴿ **الذى خلق السمٰوات والأرض وما بينهما** ﴾ [ الفرقان : ٥٩ ] ويبدو لى أن هذا الخلق بينهما قد يشير إلى ما اكتشف مؤخراً من كتل مادية تسبح فى مسارات لا تنتمى إلى أى من الأفلاك المعروفة .

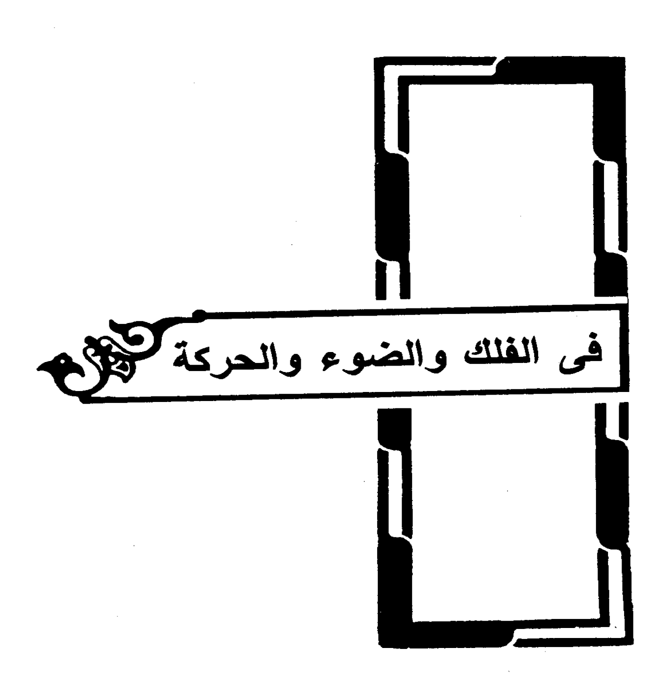
***خلاصة هذا البحث :***

وفى النهاية يبين لنا هذا العرض : مدى اتفاق المعارف الحديثة وما جاء بالقرآن الكريم ، وكلاهما بدوره يختلف تماماً عما جاء بالتوراة والإنجيل من

**مراحل الخلق**[1]**، وخاصة ما ذكر فيهما عن خلق** الأرض فى اليوم الثالث قبل خلق السمٰوات فى اليوم الرابع ، على عكس ما نعرفه من « **أن الأرض قد نشأت بالانفصال عن الشمس** » ؛ فكيف بالله عليكم يستقيم الادعاء : أن محمداً – ﷺ – قد استقى معارفه من تلك الكتب « **السماوية** » مع ما نعرفه الآن : أن القرآن قد جاء ليصحح ويعدل ما جاء بتلك الكتب ؛ ليصبح مطابقاً للمفاهيم الصحيحة التى ما اكتشفت إلا بعد عصره بقرون ؟!

---

(١) انظر النص المذكور بعد بالهامش تحت عنوان : القرآن فى مقابل الكتاب المقدس ، وهو ما جاء فى الإصحاح الأول من سفر التكوين . « فى البـدء خلق الله السمٰوات والأرض .. الخ » .


فى الفلك والضوء والحركة

**_مغالطة يقع فيها الكثيرون من كتاب الغرب :_**

ثَمّةَ مغالطة يقع فيها الكثير من كُتّاب الغرب فى تعليقهم على ما جاء بالقرآن من إشارات صحيحة فى مجال الفلك ؛ إذ لا يجدون ثمة غرابة فى ذلك ، وكأن العرب كانوا دوماً أهل دراية بعلوم الفلك !

ويتجاهلون أن « **علوم الفلك** » لم تتطور إلا على أيدى العلماء المسلمين بعد نزول القرآن بعشرات السنين !

وحتى فى أوْج الحضارة الإسلامية ، لم تصل المعارف الفلكية إلى الحد الذى يفسر ما أشار إليه القرآن من حقائق فلكية لم تكتشف إلا فى العصر الحديث !

**_المفاهيم الفلكية فى القرآن :_**

« **المفاهيم الفلكية فى القرآن** » موضوع لا يقل

اتساعاً عن سابقه : « **نشأة الكون** » وسأكتفى هنا ببعض نماذج للإشارات القرآنية ، وأبدأ بوصف « **القرآن الكريم** » لكل من الشمس والقمر ؛ فبينما لا تميز نصوص التوراة بين صفات الشمس والقمر إلا من ناحية الحجم[1]، فإن القرآن يسميها بصفات مميزة : القمر جسم منير ( **نور** ) فحسب ، بينما الشمس هى السراج الباعث للضوء .

أى أن القمر جسم بارد يعكس الضوء الذى يتلقاه من الشمس المتوهجة ، مصداقاً لما تؤكده المعارف الحديثة[2].

## *نموذج آخر للإشارات القرآنية :*

---

( ١ ) جاء فى سفر التكوين : « فعمل الله النورين العظيمين : النور الأكبر لحكم النهار ، والنور الأصغر لحكم الليل والنجوم » ( ١ / ١٧ ) . المترجم .

( ٢ ) تأمل الآيات القرآنية : ﴿ **تبارك الذى جعل فى السماء** =

وفى مثال آخر يوصف النجم بكلمة « **ثاقب** »[1] أى الذى يحترق ويستهلك تدريجياً فى ظلام الكون .

ومن ناحية أخرى يشير القرآن إلى « **الكواكبَ** » بلفظ مستقل[2]، كأجسام فلكية ذات طبيعة محددة ؛ لا يخلط بينها وبين النجوم ( **إذ لا تصدر بل تعكس الضوء كالقمر** ) .

كما يميزها عن الأقمار ( **التابعة للأرض أو غيرها** ) .

---

= **بروجًا وجعل فيها سراجاً وقمراً منيراً** ﴾ [ الفرقان : ٦١ ] ﴿ **وجعل القمر فيهن نورًا وجعل الشمس سراجاً** ﴾ [ نوح : ١٦ ] .

(١) يقصد آيات سورة الطارق : ﴿ **والسماء والطارق وما أدراك ما الطارق النجم الثاقب** ﴾

(٢) فى قوله تعالى : ﴿ **إنا زينا السماء الدنيا بزينة الكواكب** ﴾ [الصافات : ٦] ( المترجم ) .

## تطابق العلم الحديث مع نصوص القرآن بشأن حركة الأجرام السماوية :

ثم يشير العلم الحديث إلى حركة الأجرام السماوية فى أفلاك محددة ، واتزان بعضها مع بعض طبقاً لقوى الجاذبية التى تحددها – بدورها – الكتل والسرعات ، ويتطابق ذلك تماماً مع نصوص القرآن الكريم ، وعباراته الدقيقة التى لم يُدرك البشر مغزاها قبل المفاهيم الحديثة ، مثل ما جاء فى سورة الأنبياء :

﴿ **وهو الذى خلق الليل والنهار والشمس والقمر كل فى فلك يسبحون** ﴾ [ الأنبياء : ٣٣ ]

**ونلاحظ** : أن حركة الأجرام يشار إليها بالفعل « **سبح** » الذى يشير لا إلى الحركة فى الماء فحسب ، بل إلى نوع من الحركة الذاتية[1].

---

( ١ ) جاء فى المعجم الوسيط : سبح بالنهر : عام ، وسبح الفرس : مدّ يديه فى الجرى ، وسبحت النجوم : جرت فى الفلك ، وسبح فلان فى الأرض : تباعد . ( المترجم ) .

***تعاقب الليل والنهار :***

أما تعاقب الليل والنهار فليس ثمة جديد فى مجرد الإشارة إليهما ، ولكن الجديد والمثير هو التعبير القرآنى المستخدم فى « **سورة الزمر** »[1] وهو « **التكوير** » الذى يشير إلى لَفّ وتدوير الليل حول النهار ، والنهار حول الليل .

والفعل « **كوّر** » لغةً يعنى لفَّ العمامة حول رأسه ، وهو تشبيه فى غاية الدقة ( **إذ يشير إلى كروية الأرض ، وإلى دورانها حول نفسها فى نفس الوقت – المترجم** ) وقد مرت قرون وقرون بعد نزول القرآن قبل أن تعرف البشرية شيئاً من هذه الحقائق الكونية .

---

(١) حيث يقول سبحانه : ﴿ **خلق السمٰوات والأرض بالحق يكور الليل على النهار ويكور النهار على الليل** ... ﴾ [ الزمر : ٥ ] المترجم .

## إشارات قرآنية أخرى :

وبالقرآن إشارات أخرى إلى :

« ا » نشأة السمٰوات[1] ووصفها[2].

« ب » وإلى إتجاه الشمس المستمر نحو إتجاه محدد « **مُستَقَر** »[3].

« جـ » وما إلى ذلك مما يتفق مع أدق المفاهيم الحديثة ، كما يبدو أن القرآن قد ألمح أيضاً إلى

---

(١) انظر موضوع نشأة الكون .

(٢) مثل وصفها بأنها طبقات فى قوله سبحانه : ﴿ **الذى خلق سبع سمٰوات طباقا** ﴾ [ الملك : ٣ ] ووصفها بأنها مليئة بالشهب فى قوله : ﴿ **وأنا لمسنا السماء فوجدناها ملئت حرساً شديدًا وشهبا** ﴾ [ الجن : ٨ ] وأنها تعكس ما يصلها من موجات كهرومغنطيسية وبخار الماء ( المطر ) فى قوله سبحانه : ﴿ **والسماء ذات الرّجع** ﴾ [ الطارق : ١١ ] إلى غير ذلك من الإشارات المعجزة .

(٣) فى آية يٰسٓ : ﴿ **والشمس تجرى لمستقر لها ذلك تقدير العزيز العليم** ﴾ [ يٰسٓ : ٣٨ ] .

الاتّساع المستمر للكون(1).

**غزو الفضاء :**

أما عن غزو الفضاء الذى تحقق حديثاً بفضل التقدم التكنولوجى حيث نزل الإنسان لأول مرة على سطح القمر(2)، فقد أشار إليه القرآن فى سورة الرحمن: ﴿ **يا معشر الجن والإنس إن استطعتم أن تنفذوا من أقطار السموات والأرض فانفذوا لا تنفذون إلا بسلطان** ﴾ [ الرحمن : ٣٣ ]

**والسلطان هنا هو** : كل ما يؤتيه الله سبحانه وتعالى عباده من قدرات وطاقات .

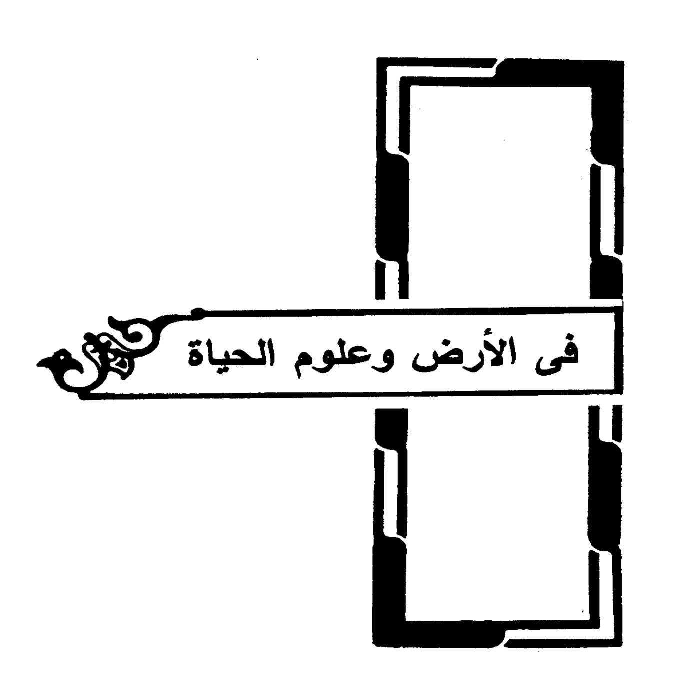
و« **سورة الرحمن** » بأكملها تدعو إلى التأمل فى نعم الله على عباده .

---

(١) فى قوله تعالى : ﴿ **والسماء بنيناها بأيد وإنا لموسعون** ﴾ [ الذاريات : ٤٧ ] المترجم .

(٢) وانطلق المكوك والمعامل الفضائية .




فى الأرض وعلوم الحياة

نعود الآن إلى « **كوكبنا** » الأرض لنتأمل هذه الآية من سورة الزمر !

يقول الله سبحانه وتعالى : ﴿ **ألم تر أن الله أنزل من السماء ماءً فسلكه ينابيع فى الأرض ثم يُخرج به زرعاً مختلفاً ألوانهُ** ﴾ [ الزمر : ٢١ ]

**إلام تشير *هذه الآية* ؟**

تشير هذه الآية إلى « **دورة المياه الجوفية** » كما يعرفها القارىء المثقف فى القرن العشرين الميلادى ؛ ولكننا يجب ألا ننسى أن البشرية لم تعرف شيئاً عن طبيعة « **دورة المياة الجوفية** » قبل اكتشافها على يد « **برنارد باليسى** » من القرن السادس عشر لتحل محل النظريات البالية من عهد أفلاطون التى تفترض :

أن الرياح تدفع المياه إلى باطن القارات لتعود إلى المحيطات من جديد خلال« **الأخدود** » الكبير الذى

كان يطلق عليه أيضاً « **البرزخ** » .

## *ديكارت يردد نظرية أرسطو :*

بل إن مفكراً مرموقاً مثل « **ديكارت** » فى القرن السابع عشر وغيره من المفكرين – حتى القرن التاسع عشر – ما فتىء يردد نظرية « **أرسطو** » التى تفترض أن المياه تتكثف فى مغارات باردة داخل الجبال ، ثم تتجمع فى بحيرات جوفية تنطلق منها العيون !

## *علم الهيدرولوجيا الحديث ودورة المياه :*

وقد أثبت علم الهيدرولوجيا الحديث : أن دورة المياة الجوفية إنما تتم خلال عمليات تشرب التربة المسامية بالمياه ، ثم تتسرب منها إلى باطن الأرض ، وهو ما ينطبق تماماً على التعبير القرآنى ﴿ **فسلكهِ ينابيع فى الأرض** ﴾ [ الزمر : ٢١ ]

## كيفية تكون الجبال :

يفسر لنا علم الجيولوجيا كيفية تكون الجبال بفضل ظاهرة « **الطىّ** » ؛ حيث تبرز الجبال إلى الخارج لتمتص الإجهادات الناشئة عن اختلاف القشرة الأرضية ( **الصلبة** ) عن السائل ( **المنصهر** ) الذى لا يصلح لحياة حيوان أو نبات .

ومن هنا تتوازن القشرة مع القلب ، وتستقر الجبال فى مواضعها بفضل « **الطيات** » التى تمتد كأساسات عميقة داخل الأرض .

ولنقارن هذه المفاهيم بالعديد من آيات القرآن التى تتحدث عن الجبال[1]؛ مثل هذه الآية من « **سورة النبأ** » التى يقول الله فيها : ﴿ **ألم نجعل**

---

( ١ ) تأمل قوله تعالى : ﴿ **وألقى فى الأرض رواسى أن تميد بكم** ﴾ [ النحل : ١٥ ] . وقوله تعالى : ﴿ **وجعلنا فى الأرض رواسى أن تميد بهم** ﴾ [ الأنبياء : ٣١ ] وقوله تعالى : ﴿ **وألقى فى الأرض رواسى أن تميد بكم** ﴾ [ لقمان : ١٠ ] المترجم .

الأرضَ مِهَادًا والجبال أوتادًا ﴾ [ النبأ : ٦ - ٧ ]

والأوتاد هى : ما يُدَق فى الأرض لتثبيت الخيمة ونحوها ، مما يتفق تماماً مع تثبيت الجبال فى الأرض بفعل الطيات العميقة الممتدة .

## نماذج التطابق السابقة والآيات المتعلقة بعلوم الحياة :

فى كل الأمثلة السابقة نماذج للتطابق بين النص القرآنى ، وبين دقائق العلم الحديث دون أدنى تباين أو اختلاف !

ولكن أكثر ما هزنى - منذ بدأت هذه الدراسة - هو تلك الآيات المتعلقة بعلوم الحياة ، سواء : المملكة الحيوانية ، أو النباتية ، خاصة تلك المتعلقة بالتكاثر !

وأؤكد - ثانية - أن العديد مما جاء بتلك الآيات لم يكن إطلاقاً فى متناول الفهم ، أو التفسير

المراد ؛ قبل التقدم العلمى الحديث .

كما أن كثيراً مما فهم الأقدمون شيئاً عنه جاء العلم الحديث ليسلط الضوء على مناحى أخرى تؤكد صدق الآيات القرآنية ، ويتضح ذلك تمامًا فى شطر آية الأنبياء التى يقول الله فيها : ﴿ **وجعلنا من الماء كل شىء حىّ أفلا يؤمنون** ﴾ [ الأنبياء : ٣٠ ] فهذه الآية الكريمة تؤكد المفهوم الحديث الذى يقول : إن الحياة قد نشأت – بشكل ما – فى وسط مائى(١).

## ناحية أخرى تثير العجب فى علم النبات :

ومن ناحية أخرى لم تصل معارف البشر على عهد محمد – ﷺ – إلى الحد الذى يؤكد –

( ١ ) نشأة الحياة من الأمور التى ظلت – وربما ستظل – من أمور الغيب أما المغزى الأقرب والمؤكد لإعجاز الآية فهو أن كل صور الحياة النباتية والحيوانية ، وكل العمليات الفسيولوجية تتم فى وسط مائى . ( المترجم ) .

ما أصبح قاعدة فى علم النبات – « **أن كل النباتات لها أعضاء تذكير ، وأعضاء تأنيث !** » بينما تقرأ فى سورة طه : ﴿ **وأنزل من السماء ماء فأخرجنا به أزواجاً من نبات شتى** ﴾[ طه : ٥٣ ] وقد ثبت لدينا الآن : أن كل الثمار تنشأ عن نباتات لها خصائص جنسية زوجية ( **حتى فى حالة الموز الذى ينمو من زهرة غير ملقحة** ) ولنقرأ أيضاً فى سورة الرعد : ﴿ **ومن كل الثمرات جعل فيها زوجين اثنين** ﴾
[ الرعد : ٣ ]

### *عالم الحيوان :*

أما عالم الحيوان فيتشابه كثيراً مع الطب البشرى ، ولنستعرض أولاً نموذجًا للدقة العلمية لآيات القرآن التى تتناول جانباً من « **فسيولوجيا** » تكوين الألبان فى ضروع المواشى ؛ ففى سورة النحل نقرأ : ﴿ **وإن لكم فى الأنعام لعبرة نسقيكم مما فى**

بطونه من بين فرث ودم لبناً خالصاً سائغًا للشاربين ﴾ [ النحل : ٦٦ ]

***آية لها شأنها :***

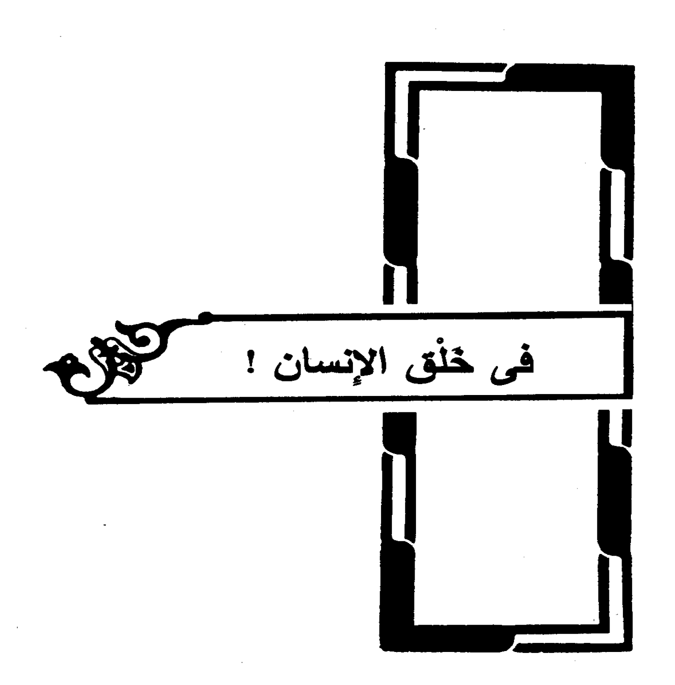
ولهذه الآية فى نظرى شأن كبير ؛ فقد نزلت قبل اكتشاف الدورة الدموية بألف عام على الأقل ، وكذلك قبل ثلاثة عشر قرنًا مَن اكـتشاف « **عمليات التمثيل الغذائى** » فى الأمعاء التى تمتص جدرها نواتج الهضم لتنقلها إلى سائر الأعضاء .

نزلت هذه الآية لتتحدث بدقة تامة عن تكوين اللبن فى الضروع بما يتفق مع النظريات الحديثة !

ومن العسير تماماً أن نفهم الآية حق فهمها دون إلمام بالتفاعلات الكيميائية داخل الأمعاء ؛ والتى يعقبها امتصاص المواد النافعة بالغذاء المهضوم إلى الأوعية الدموية بنظام معقد محكم يمر بعضه بالكبد ، ثم ينقل الدم هذه الموادّ إلى الأعضاء – كل فيما

يخصه – **بما فيها الغدد اللبنية بالضروع** ، أى أن العملية تتلخص باختصار شديد فى انتقال مكونات معينة من أمعاء الأنعام إلى الأوعية الدموية ( **بجدر الأمعاء** ) ، ومنها إلى مجرى الدم ، ثم إلى الضروع ، وهو ما يتفق تماماً مع نص الآية الكريمة !





# فى خَلْق الإنسان !

***خلق الإنسان فى القرآن وعلماء الأجنة :***

عندما يتحدث القرآن عن نشأة الجنين يأتى بآيات لا يُحْسِنُ تفسيرها إلا علماءُ الأجنة ؛ ولم يكن ذلك متيسّراً للأقدمين قبل تطور « **علوم البيولوجيا** » ؛ وخاصة قبل اختراع المجاهر ( **الميكروسكوبات** ) ، ويستحيل أن يأتى رجل فى القرن السابع الميلادى بهذه الآيات إلا بوحى فوق مستوى البشر ؛ إذْ لم تعرف البشريّة - لا فى بلاد العرب ، ولا الشرق الأوسط ، ولا أوربا حينئذ - شيئاً من هذه المعارف .

ومن حسن حظ العلماء المعاصرين الذين جمعوا بين فهم القرآن والدراية بالعلوم الحديثة أن يلمسوا بوضوح مدى التطابق بين النص القرآنى والمعارف الحديثة .

### *تعليق لا يُنْسى ! :*

ولا أنسى تعليقاً لشابٍّ مسلم فى الثانية عشرة من عمره ، نشأ فى السعودية – تعليقاً على ما جاء فى القرآن حول « **الحمل والولادة** » حيث قال : « إننا نجد فى هذا القرآن – كما تعلمنا فى مدارسنا – مصدراً للمعارف الأساسية حول الحمل والولادة بدقة ووضوح لا تصل إليها المناهج الغربية المتقدمة » .

### *موضوع الحمل والولادة يُبرز مدى التباين بين دقة المفاهيم القرآنية والأساطير والخرافات :*

وموضوع الحمل والولادة – بالذات – يُبْرز لنا مدى التباين بين دقة المفاهيم العلميّة بالقرآن الكريم ، وبين الأساطير والخرافات السائدة وقت نزول القرآن ، وبعده بكثير[1]، مما يبعث على الانبهار

بالقرآن لاتفاقه مع العلوم الحديثة ، ولخلوه من أى شائبة من الأفكار السائدة وقت التنزيل .

### *طبيعة السائل المنوى :*

وسنخص بالشرح موضوع « **طبيعة السائل المنوى** » وما نعرفه الآن من أن الحمل يبدأ بنقطة صغيرة ( **نطفة** ) متناهية الصِّغر من كل السائل المنوى ، لتبدأ منه السلالة !!

ثم يشير القرآن بعد ذلك إلى تعلق بويضة الأنثى المخصبة بجدار الرحم باللفظ الدقيق « **العلق أو العلقة** » فى آيات عدة أشهرها : آية سورة العلق :

﴿ **خلق الإنسان من علق** ﴾ [ العلق : ٢ ]

### *دقة اللفظ القرآنى فى وصف وضع الجنين :*

---

( ١ ) حتى يومنا هذا فى بعض المجتمعات . ( المترجم ) .

ولا أعتقد أن ثمّة لفظ أدق من هذه الكلمة فى وصف وضع الجنين داخل الرحم بإيجاز بليغ ، ووصف دقيق ، وكلمات واضحة ، ينطبق كل منها على مرحلة من مراحل نمو الجنين ؛ مثلما نجد فى « سورة المؤمنون » : ﴿ **ثم خلقنا النطفة علقة فخلقنا العلقة مضغة فخلقنا المضغة عظامًا فكسونا العظام لحمًا ثم أنشأناه خلقاً آخر فتبارك الله أحسن الخالقين** ﴾ [ المؤمنون : ١٤ ] ولفظ المضغة : يعبر تماماً عن شكل الجنين فى إحدى المراحل ، وفى مرحلة تالية تبدأ العظام فى التشكل من داخل المضغة قبل أن تكسوها العضلات ( **اللحم** ) تدريجياً .

وخلال نمو الجنين يمر بمرحلة تبدو فيها بعض الأعضاء ، وقد اتخذت شكلها النهائى ، بينما لم تتضح بقية معالم الجنين بعد ، ولعل هذا هو المقصود بعبارة « **مُخَلقة وغير مُخَلّقة** » فى سورة الحج حيث يقول

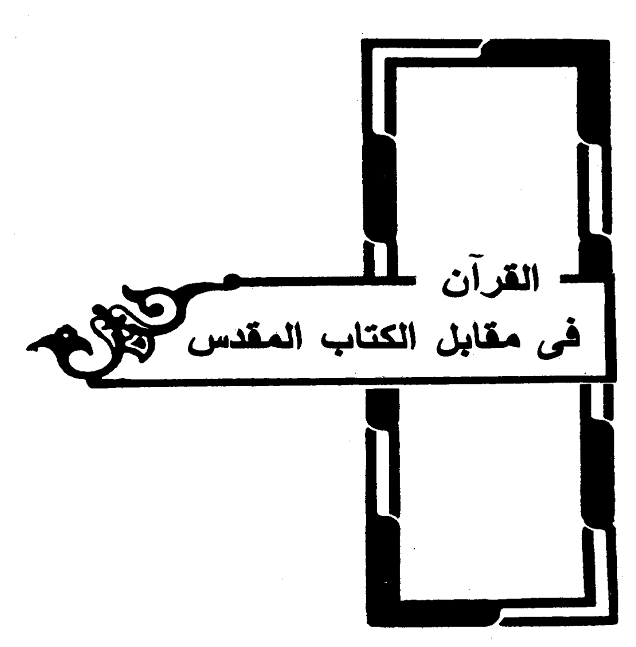
ربنا سبحانه : ﴿ **فإنا خلقناكم من تراب ثم من نطفة ثم من علقة ثم من مضغة مخلقة وغير مخلقة** ﴾[ الحج : ٥ ]

## *الإشارة إلى خلق الحوّاس والأعضاء :*

وأخيراً نجد الإشارة إلى خلق الحواسّ والأعضاء كما جاء فى سورة السجدة ، حيث يقول ربنا جل وعلا : ﴿ **وجعل لكم السمع والأبصار**(1) **والأفئدة قليلاً ما تشكرون** ﴾ [ السجدة : ٩ ] وفى كل هذه الآيات التى عرضناها لا نجد ثمة ما يتعارض مع العلم الحديث ؛ كما لا نجد أثراً للمفاهيم البشرية الخاطئة !

---

( ١ ) يلاحظ العلماء المعاصرون تقديم السمع على الأبصار فى هذه الآية والعديد من الآيات القرآنية ، ولذلك أيضاً مغزى علمىّ دقيق من حيث يسبق السمع البصر عند الأطفال حديثى الولادة ، وبقاء السمع فى النوم واليقظة ، وأهمية السمع على البصر فى التلقّى والتخاطب . [ المترجم ] .


القرآن
فى مقابل الكتاب المقدس

تعالَوْا أخيراً نعقد مقارنة بين النصوص القرآنية ونصوص الكتاب المقدس ، وقد تناولنا لمحة من ذلك فى معرض الحديث عن نشأة الكون ؛ حيث ظهر بجلاء مدى تطابق النص القرآنى مع المعارف الحديثة على عكس مقولات الكتاب المقدس ، والتى نعرف جميعاً أنها من وضع مجامع القسس حتى القرن السادس بعد الميلاد ، ومن ثم نسبتها إلى ما يسمى المجامع المسكونية .

ولم يهتم واضعوها إلا بتقديم الموعظة ، وبهدف محدد هو : الدعوة إلى مراعاة الواجبات الدينية .

وكان هذا الوضع ، أو التأليف — من وجهة نظر الواضعين — هدفاً مشروعاً تماماً ؛ على حَدّ قول الأب **دى فو** المدير السابق لمعهد الكتاب المقدس بالقدس ، ويضم الكتاب المقدس أيضاً فقرات قصيرة

أخرى عن « **نشأة الكون** » فيما يسمى بالنص اليهودى ، الذى يتناول الموضوع من زاوية أخرى تماماً ، وكلا النّصين مأخوذ من سِفْر التكوين ، أى ما يسمى بالأسفار الخمسة ، العهد القديم ( **التوراة** ) ، والتى يفترض أنها جاءت على لسان موسى – عليه السلام – إلا أنه من المعروف أن هذه النصوص قد حرفت كثيراً قبل أن تصل إلينا بصورتها الراهنة !

### *أبرز ما جاء فى نصوص المجامع هذه فى سفر التكوين :*

ومن أبرز ما جاء فى نصوص المجامع هذه فى سفر التكوين : السرد التاريخى لنسل آدم ، وهو سرد أصبح لا يُعْتَدّ به من وجهتى النظر : العلمية والتاريخية .

**وقد نقل كل من « متّى » و« لوقا » فى إنجيليهما** هذا السرد عند الحديث عن نسب عيسى – عليه السلام – :

**أحدهما** – ابتداء من آدم ( **إنجيل لوقا** ) .

**والآخر** – ابتداء من إبراهيم ( **إنجيل متى** ) .

وقد أثبت العلم الخطأ الفادح فى هذه النصوص فيما ذكرته عن تاريخ بدء الحياة على الأرض ، ثم تاريخ ظهور الإنسان بما يتناقض تماماً مع ما أكده العلم الحديث من تقديرات، بينما سلم النص القرآنى تماماً من هذه الأخطاء والتناقضات .

## *عمر الحياة على الأرض :*

أما بالنسبة لعمر الحياة على الأرض ، فإن التقويم اليهودى المستنتج من سلسلة نسب آدم بالكتاب المقدس – يفترض أن عمر الأرض فى يومنا هذا

حوالى ٥٧٣٨ عاماً ؛ وهو تقدير يتناقض مع الحقائق العلمية المؤكدة ، والتى تقدر عمر المجموعة الشمسية بأكثر من أربعة بلايين عام ، واكتشاف آثار لوجود الإنسان على الأرض منذ عشرات الآلاف من السنين ، وهنا يتبين لنا من جديد سلامة النص القرآنى من أى إدعاءات تتناقض مع العلم والتاريخ !

### ***اتفاق القرآن مع المفاهيم الحديثة وتناقض غيره من النصوص معها :***

وقد رأينا إلى أى مَدّى يتفق القرآن مع المفاهيم الحديثة فى نشأة الكون ، بينما تتناقض نصوص الكتاب المقدس مع العلم ، وخاصة عندما تتحدث عن بدء خلق السموات والأرض بظهور الماء ، ثم عن خلق « **النور** » فى اليوم الأول ، قبل خلق النجوم ( **مصدر هذا النور** ) فى اليوم الرابع ، ثم عن خلق الليل والنهار ، قبل خلق الأرض ( **التى يتعاقبان**

**عليها** ) فى اليوم الثالث ، وكذلك عن خلق الأرض فى اليوم الرابع ، وعن ظهور الوحوش على الأرض فى اليوم السادس ، بعد ظهور الطيور فى السماء فى اليوم الخامس ( **وهو عكس الترتيب المفهوم** )[1].

---

( ١ ) من العهد القديم – سفر التكوين – الإصحاح الأول : « فى البدء خلق الله السمٰوات والأرض . وكانت الأرض خربة وخالية **وعلى وجه الغمر ظلمة وروح الله يرف على وجه المياه . وقال الله** ليكن نور فكان نور . ورأى الله النور أنه حسن . وفصل الله بين النور والظلمة . ودعا الله النور نهاراً والظلمة دعاها ليلاً . وكان **مساء وكان صباح يوماً واحداً .**

**وقال الله ليكن جَلَد فى وسط المياه . وليكن فاصلاً بين مياه ومياه . فعمل الله الجلد وفصل بين المياه التى تحت الجلد والمياه التى** فوق الجلد . وكان كذلك . ودعا الله الجلد سماء . وكان مساء وكان صباح يوماً ثانياً .

وقال الله لتجتمع المياه تحت السماء إلى مكان واحد ولتظهر اليابسة . وكان كذلك . ودعا الله اليابسة أرضاً . ومجتمع المياه دعاه بحاراً . ورأى الله ذلك أنه حسن . وقال الله لتنبت الأرض عشباً **وبقلاً يبزر بزراً وشجراً ذا ثمر يعمل ثمراً كجنسه بزره فيه على الأرض .** وكان كذلك فأخرجت الأرض عشباً وبقلاً يبزر بزراً كجنسه وشجراً =

=يعمل ثمراً بزره فيه كجنسه . ورأى الله ذلك أنه حسن . وكان مساء وكان صباح يوماً ثالثاً .

وقال الله لتكن أنوار فى جلد السماء لتفصل بين النهار والليل . وتكون لآيات وأوقات وأيام وسنين . وتكون أنواراً فى جلد السماء لتنير على الأرض . وكان كذلك . فعمل الله النورين العظيمين . النور الأكبر لحكم النهار والنور الأصغر لحكم الليل . والنجوم . وجعلها الله فى جلد السماء لتنير على الأرض . ولتحكم على النهار والليل ولتفصل بين النور والظلمة . ورأى الله ذلك أنه حسن . وكان مساء وكان صباح يوماً رابعاً .

وقال الله لتفض المياه زحافات ذات نفس حية وليطر طير فوق الأرض على وجه جلد السماء . فخلق الله التنانين العظام وكل ذوات الأنفس الحية الدبابة التى فاضت بها المياه كأجناسها وكل طائر ذى جناح كجنسه . ورأى الله ذلك أنه حسن . وباركها الله قائلاً أثمرى وأكثرى وإملأى المياه فى البحار . وليكثر الطير على الأرض . وكان مساء وكان صباح يوماً خامسًا .

وقال الله لتخرج الأرض ذوات أنفس حية كجنسها . بهائم ودبابات ووحوش أرض كأجناسها . وكان كذلك . فعمل الله وحوش الأرض كأجناسها والبهائم كأجناسها وجميع دبابات الأرض كأجناسها . ورأى الله ذلك أنه حسن . وقال الله نعمل الإنسان على صورتنا كشبهنا . فيتسلطون على سمك البحر وعلى طير السماء=

## إلام ترجع هذه التناقضات ؟

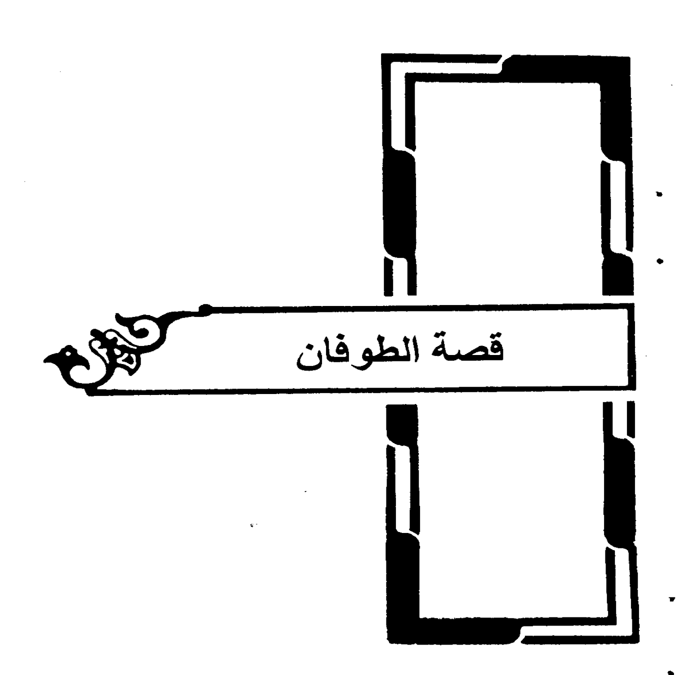
وترجع هذه التناقضات إلى أن هذه المقولات إنما تمثل حصيلة الأفكار البشرية السائدة فى القرن السادس الميلادى.

---

= الأرض . فخلق الله الإنسان على صورته . على صورة الله خلقه . ذكراً وأنثى خلقهم . وباركهم الله وقال لهم أثمروا وأكثروا واملأوا الأرض وأخضعوها وتسلطوا على سمك البحر وعلى طير السماء وعلى كل حيوان يدب على الأرض . وقال الله إنى قد أعطيتكم كل بقل يبزر بزراً على وجه كل الأرض وكل شجر فيه ثمر شجر يبزر بزراً . لكم يكون طعاماً . ولكل حيوان الأرض وكل طير السماء وكل دبابة على الأرض فيها نفس حية أعطيت كل عشب أخضر طعاماً . وكان كذلك .

ورأى الله كل ما عمله فإذا هو حسن جدًا وكان مساء وكان صباح يوماً سادساً » .

وعلى البهائم وعلى كل الأرض وعلى جميع الدبابات التى تدب على



# قصة الطوفان

ويظهر التباين بشدة بين النصوص القرآنية والكتاب المقدس فى موضوع : الطوفان ؛ حيث جاءت رواية الكتاب المقدس عن روايتين مختلفتين ؛ وتشير إلى أن الطوفان قد عم العالم بأسره[1]، قبل عهد إبراهيم – عليه السلام – بحوالى ثلاثمائة عام ؛ أى حوالى القرن الحادى أو الثانى والعشرين قبل الميلاد !

وفى ذلك تناقض صارخ مع الحقائق التاريخية ؛ إذ كيف نتخيل غرق حضارات العالم بأسره فى ذلك العصر الذى يناظر عصر ما قبل المملكة الوسطى بمصر ، أى بين الأسرتين : العاشرة والحادية عشرة .

من هنا فإن المعارف الحديثة ترفض قبول ما جاء

---

( ١ ) جاء فى سفر التكوين : « فها أنا آتٍ بطوفان الماء على الأرض لأهلك كل جسد فيه روح حياة من تحت السماء » ( ٦ / ١٨ ) ثم : « فمحى الله كلّ قائم كان على وجه الأرض : الناس والبهائم والدبابات وطيور السماء » ( ٧ / ٣٤ ) المترجم .

بالكتاب المقدس ؛ بينما نلمس صدق القرآن الكريم الذى يقرر أن الطوفان كان مقصورًا على قوم نوح – عليه السلام – عقاباً لهم على ما ارتكبوه من إصرار على الكفر والمعاصى ؛ شأنهم فى ذلك شأن غيرهم من الأمم فى مناسبات أخرى !

ولم يذكر القرآن تاريخاً محدَّدًا لحدوث الطوفان سوى أنه كان فى عهد نوح – عليه السلام – وليس فيه ثَمةَ ما يتعارض مع الدراسات التاريخية والأثرية .

**قصة سيدنا موسى – عليه السلام – ووقائع خروجه من مصر :**

نتطرق بعد ذلك لقصة سيدنا موسى – عليه السلام – وخاصة وقائع خروجه مع بنى إسرائيل من مصر هرباً من بطش فرعون .

وألخص بسرعة ما جاء فى كتابى[1] حول هذا الموضوع حيث حدَّدْت – بشىء من التفصيل –

(١) « القرآن الكريم والتوراة والإنجيل والعلم » موريس بوكاى .

نقاط الاتفاق ، ونقاط الاختلاف بين القرآن الكريم ، والكتاب المقدس .

وبينت أن فى هذه القصة نوعاً من التكامل فى التفاصيل بين ما جاء بالكتابين .

وقد ناقشت الآراء المختلفة حول « **فرعون الخروج** » والتى رجحت بشدة : أن خروج موسى – عليه السلام – وبنى إسرائيل ، كان فى عهد « **الملك منفتاح** » خليفة « **رمسيس الثانى** » .

ويؤكد ذلك مضاهاةُ النصوص التاريخية بالآثار الفرعونية وتتفق هذه الأفكار مع ما جاء بالتوراة من نصوص تدل على أن موسى – عليه السلام – قد ولد فى عهد « **رمسيس الثانى** » الذى مات إبّان حياة موسى – عليه السلام – بمصر ، وبالتالى فإنه يمكن الاعتداد برواية التوراة فى هذا الجزء من تاريخ موسى – عليه السلام – .

## الفحص الطبى لمومياء منفتاح :

ومن ناحية أخرى فإن الفحص الطبى لمومياء منفتاح يلقى مزيداً من الضوء حول ملابسات موت ذلك الفرعون ، وقد بقيت هذه المومياء حتى يومنا هذا شاهداً تاريخياً هاماً – منذ اكتشافها عام ١٨٩٨ م .

وقد قطعت الدراسات الطبية باستحالة بقاء[1] جثة ذلك الفرعون فى الماء مدة طويلة قبل تحنيطها ، وهذا دليل على مدى الاتفاق بين ما جاء بالقرآن الكريم ، وبين المعارف الحديثة ، فقد تعرض القرآن الكريم لمصير جثمان فرعون حيث أكد بقاءها وحفظها – رغم غرقه – لتكون عبرة للأجيال كما جاء فى سورة يونس : ﴿ **فاليوم ننجيك ببدنك**

(١) لم تكن البشرية وقت نزول القرآن الكريم تعرف شيئاً عن قيام القدماء المصريين بتحنيط الجثث ، وبالتالى عن أى احتمال لبقاء جثث سليمة وذلك أيضاً من إعجاز القرآن الكريم . ( المترجم ) .

**لتكون لمن خلفك آية وإن كثيراً من الناس عن آياتنا لغافلون ﴾** [ يونس : ٩٢ ] أما الكتاب المقدس ، فقد أكد غرق فرعون أثناء مطاردته موسى دون التعرض لمصير جثمانه[1].

## *إلام ترجع تلك التناقضات ؟*

ترجع التناقضات بين الكتاب المقدس بعهديه : القديم والجديد فى جانب ، وبين القرآن والعلم الحديث فى الجانب الآخر إلى التباين فى المصدر ، وملابسات التدوين لكلا الكتابين ؛ فبينما يضم العهد القديم مجموعات من تراث الأدب الشعبى والدينى والتاريخى لبنى إسرائيل ، وضعه وعدله البشر طوال تسعة قرون ، كما يضم العهد الجديد الأناجيل الأربعة التى وضعها : متى ولوقا ومرقس ويوحنا إلى جانب

(١) فى سفر الخروج : « فرجع الماء وغطى مركبات وفرسان جميع جيش فرعون الذى دخل وراءهم فى البحر لم يبق منهم ولا واحد » ( ١٤/٢٩ ) المترجم .

رسائل بولس وغيرها ؛ فإن القرآن قد سلم – منذ نزوله – من تدخلات البشر ؛ فمن بداية نزول الوحى كان النبى – ﷺ – والمسلمون معه يحفظون ما ينزل منه آية آية عن ظهر قلب ، ويدونونه – قبل جمعه وترتيبه – في حياة محمد – ﷺ – حتى وصل إلينا اليوم كيوم نزل بلا تحريف ولا تعديل .

## *المكانة الفريدة للقرآن !*

وختاماً فإن مقارنة القرآن الكريم بمستوى المعارف السائدة فى القرن السابع الميلادى – عصر نزول القرآن – ليدفع أى عالم منصف إلى القطع باستحالة أن يكون القرآن من وضع محمد – ﷺ – ، ويؤكد المكانة الفريدة للقرآن بين سائر النصوص ككتاب تلقته البشرية نصًّا يفوق مستوى معارف عصره ؛ لم يأت بشر فيه بحرف ، أو كلمة ، أو عبارة من صنعه .

## تلخيص السّمَات التى تؤكد أن القرآن الكريم وحىٌ من عند الله :

وألخص فيما يلى السمات التى تؤكد أن القرآن الكريم وحى من الله تعالى :

**شروط صدق الوحى** : متى يصح أن يكون النص الدينى وحياً من الله تعالى ؟

**أى** : ما الذى يثبت صدق تنزيل كتاب كالقرآن من الله الخالق ؟ وما هى المعايير التى تميز كلام الله عن كلام البشر ؟

عقلياً تتلخص هذه المعايير فى الآتى :

( ١ ) **المنطقية** : فقد أنعم الله علينا بنعمة العقل ، والحكمة التى نميز بها بين ما هو معقول ، وبين ما يتعارض مع مبادىء المنطق ، ولا يصدر عن الله تعالى إلا الكلام المعقول الذى يتقبله كل عقل سليم مجرد عن الهوى .

( ٢ ) **الكمال** : لما كان الله الخالق الأعظم هو : الكمال ؛ فلا بد أن يتسم كلامه وحده بالكمال والدقة ، وبالسلامة من الخطأ ، أو الحذف ، أو الإضافة ، أو تناقض العبارات ، وتضارب النُّسخ والصيغ .

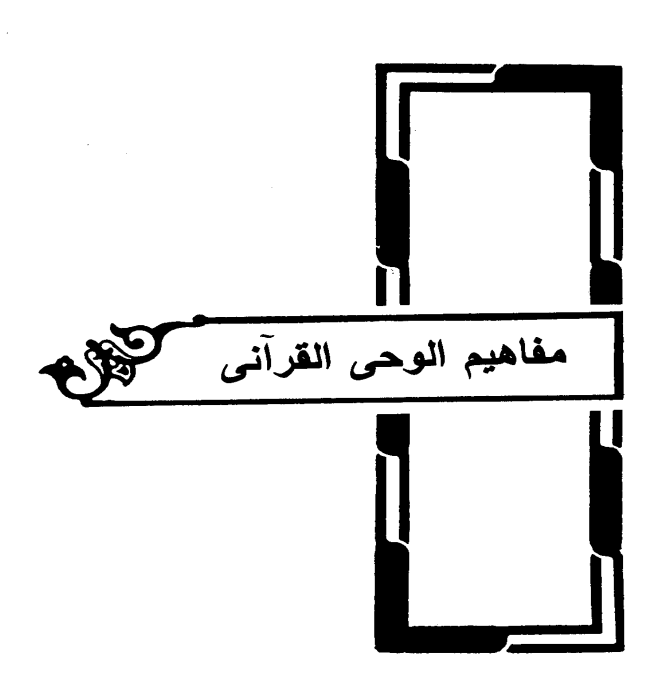
( ٣ ) **العقلانية** : فلا يمكن لوحى الله أن تشوبه الخرافات والأساطير التى لا تليق بعظمة الله ، أو تنحط بعقل الإنسان .

( ٤ ) **العلمية** : لما كان الله هو الخالق العليم فلا بد للوحى أن يكون قبساً من علم الله ، وأن لا يناقض العلم والمعارف الصحيحة الثابتة فى أى زمان ومكان .

( ٥ ) **علم الغيب** : استأثر الله وحده بعلم الماضى والحاضر والمستقبل معاً ؛ لذا فكل ما جاء به من أنباء الماضى ونبوءات المستقبل لابد أن يثبت

صدقها .

( ٦ ) **استحالة التقليد** : الوحى الصادق من الله تعالى لا يحاكيه بل ولا يدانيه كلام بشر ، وهو معجزة حية باقية ، وكتاب مفتوح لكل البشر يقرءونه ، ويمحصون صدقه على امتداد الزمان والمكان .


مفاهيم الوحى القرآنى

ألخص فيما يلى المفاهيم الأساسية للعقيدة الإسلامية طبقاً للقرآن الكريم :

(١) **الوجود** : لم يكن خلق الكون ، ووجود الإنسان على الأرض صدفة ، أو حدثاً عارضاً ، بل إن كل ما فى هذا الكون حتى أصغر ذرة فيه تنطق وتهتف بوجود الخالق العظيم الرءوف الرحيم ، بدونه ما كان شىء من العدم ، وكل نفس تنبض بالحياة تدرك أنها لم تصنع ذاتها ، بل أتى بها إلى هذا الوجود الخالق الأعظم : الله الذى تتشوق كل نفس إلى ذاته ورضاه !

( ٢ ) **الإنسان** : الإنسان مخلوق فريد بين سائر الكائنات الأرضية ؛ جعله الله خليفة له فى هذا الكوكب الأرضى ، واستخلفه على سائر الأحياء ، وكرمه بملكة العقل والحكمة التى يسمو بها على سائر الأحياء

يقول الرسول - ﷺ -: « **لا حسد إلا فى اثنتين : رجل آتاه الله مالاً فسلطه على هلكته فى الحق ورجل آتاه الله الحكمة فهو يقضى بها ويعلمها** »[1].

وإلى جانب هذه الملكات التى يميز بها الإنسان بين الطيب والخبيث ، وبين النافع والضار ، وبين الخير والشر ، وهب الله الإنسان نعمة الحرية ليختار بنفسه إما : طريقاً فى الحياة يليق بخلافته لله فى الأرض ، أو دَرْكاً ينحط به إلى ما دون سائر الحيوانات والمخلوقات .

لقد ولد الإنسان بريئاً طاهراً من كل خطيئة موروثة ، وله مطلق الحرية أن يرتفع بالفضائل ، أو ينغمس فى الرذائل .

---

(١) ذكر المؤلف ما ترجمته الحرفية : « **ما خلق الله تعالى شيئاً أفضل من الحكمة ، ولا أكمل ولا أجمل من الحكمة** » ولم نعثر على تخريج لحديث كهذا ، فلعله يقصد ما بيناه من صحيح البخارى ، وأخرجه أيضاً مسلم والنسائى وابن ماجه ( المترجم ) .

( ٣ ) **الهدى الإلهى** : لفرط رحمة الله بعبده الإنسان وحبه الخير له ، لم يتركه تائهاً فى دروب الحياة باحثًا عن الحقيقة وحيداً متجشمًا عناء التجربة المريرة ، والخطأ المتكرر ، بل وهبه – إلى جانب العقل والحكمة – الرسالات الهادية عن طريق الرسل والأنبياء لتحدد له معالم الحق ، وحقائق الوجود فى هذه الحياة الدنيا وما بعدها .

( ٤ ) **الوحى** : منذ فجر التاريخ أرسل الله رسله وأنبياءه بالوحى الإلهى ، داعين إلى طريق الامتثال والطاعة لله الواحد الأحد ، وذلك جوهر الإسلام ، تلك الرسالة الواحدة التى حملها كافة الأنبياء إلى البشر جيلاً بعد جيل ، وبمضى الوقت تعرضت كل الرسالات السابقة لتحريف البشر أو الضياع ، فاختلط الوحى الإلهى بالخرافات والأساطير ، وعبادة الأوثان ، وشطحات الفلاسفة ؛ حتى ضاع دين الله بين ركام التصورات

والمعتقدات ، فما كان تاريخ البشرية إلا دورات صعود وهبوط بين النور والظلام، وبين الهدى والضلال ، لولا أن الله لرحمته بالبشر لم يتركهم بلا معين يتجدد لينقذها من دياجير الظلام ! .

( ٥ ) خاتم الرسالات : وعندما وصل البشر إلى أسفل عهود الجاهلية والظلام ، أرسل الله خاتم المرسلين سيدنا محمدًا ﷺ لينقذ البشرية من جديد ، إلا أن الرسالة هذه المرة كانت تمامًا لكل ما نزل قبلها ، ونبراسًا باقيًا للهدى إلى يوم الدين[1].

---

( ١ ) وقد كان ! وللتحقيق العملي لهذه النبوءة أيضاً إعجاز القرآن القائل : ﴿ ما كان محمد أبا أحد من رجالكم ولكن رسول الله وخاتم النبيين ﴾ [ الأحزاب : ٤٠ ] المترجم .

## والآن رسالة إلى عزيزى القارىء !

فى البدء نقول :

- لا يجبرك أحد على اعتناق مالا تفهمه وتقتنع به !
- ولكن العار - كل العار - على إنسان مثقف مثلك أن تحرم نفسك من مجردِ المحاولة للبحث عن الحقيقة !
- لقد أنعم الله علينا بنعمة العقل ؛ حتى نستخدمه فى التفكير والتأمل ؛ لنحكم على الأشياء حكماً موضوعياً منظماً !
- وأنا لا ألح عليك أن تتعجلَ قبولَ مبادىء الإسلام ؛ فالإسلام نفسه يقرر حرية الفكر والاختيار[1].

---

( ١ ) قال تعالى : ﴿ **لا إكراه فى الدين قد تبين الرشد من الغى ...** ﴾ [ البقرة : ٢٥٦ ] المترجم .

● وليس هذا فحسب بل إنك إن اهتديت فعلاً إلى صدق رسالة الإسلام ، لا يعنى ذلك أن يُكرِهَك أحد مباشرة على اعتناقك إياه ، والعمل بما جاء فيه .

● ولكنى أنصحك – قبل الحكم على مدى صدق رسالة الإسلام – أن تسأل ضميرك : هل تعرف عن الإسلام قدراً كافياً يسمح لك بالحكم الموضوعى عليه ؟

وهل تلقيت مفاهيمك ومعلوماتك تلك عن مصادر يعتد بها ؟ أم ركنت إلى ما يقوله ويكتبه غير المسلمين ، أو المتظاهرون بالإسلام ، والجهلاء بدينهم من المسلمين ، وكثير من هؤلاء لم يدرسوا القرآن حق دراسته ، ولم يقرءوا فى الإسلام إلا قشوراً وادعاءات ؛ ثم يتباهون بأنهم رسل التنوير والعقلانية ، والفهم الصحيح لجوهر الدين ( **دون البحث فى نصوصه** ) .

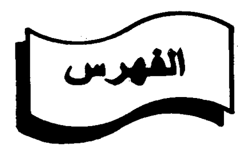
● هل من العدل أن تحكم على مذاق طعام دون أن تتذوقه بنفسك ؛ بل وتهضمه جيداً لتعرف قدره ونفعه ؟ أم تركن إلى رأى غيرك وذوقه ؟

● إن لك – عزيزى القارىء – أن تختار المنهج الذى يتفق مع احترامك لعقلك حتى تصل إلى الحق !

● وأيًا مّا كان منهجك ، وأيًا مًّا كانت نتيجة بحثك ، فإننى أكرر ثانية أن الإسلام يؤكد تمامًا حريتك فى استخدام ملكاتك الخاصة فى التفكير واتخاذ القرار ، ولكل إنسان إرادته المستقلة التى **لا يحق لأحد الاعتداء عليها ولا إكراهه على قبول دين أو** العمل به . عليك أن تفكر وتقرر بنفسك .

وختامًا أتمنى لك عزيزى القارىء – رحلة طيبة للبحث عن الحقيقة !

والحمد لله الذى بنعمته تتم الصالحات .


الفهرس

رقم الإيداع ٤٧٨٢ ـــ ١٩٩٣